

حجية قول الصحابي في التفسير

د. سناء عبد الرحيم عبد الله حلواني [*]

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، واشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره الكافرون.

أما بعد: فإن اصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة

ثم إن علم التفسير أجل العلوم، وأعظمها وأنفعها، لتعلقه بكتاب الله تعالى ومعرفة معانيه، وقد حرص الصحابة على تعلمه وتعليمه ومعرفة مقاصده ومراميه، فكان سبباً في تقدمهم على سائر الأمم، وبناء مجدهم الذي لا يزال باقياً ابد الدهر، وهذا البحث عن حجية قول الصحابي في التفسير وقد جعلته في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وفهرسين للمراجع والموضوعات.

والله ولي التوفيق

(*) أستاذ مساعد – تخصص التفسير وعلوم القرآن.

تمهيد
في معنى التفسير ومصادره

التفسير فى اللغة: التفسير هو الإيضاح والتبيين، ومنه قوله تعالى: (**وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بالحق وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً**)[1].. أى بياناً وتفصيلاً، وهو مأخوذ من الفسر وهو الإبانة والكشف، قال في القاموس: "الفسر: الإبانة وكشف المغطى كالتفسير

التفسير فى الاصطلاح:

لو تتبعنا أقوال العلماء الذين عرَّفوا التفسير، وجدناهم قد عرَّفوه بتعاريف كثيرة، يمكن إرجاعها كلها إلى معنى واحد، فهى وإن كانت مختلفة الألفاظ، إلا أنها متحدة المعنى وما تهدف إليه.

وهو بيان مراد الله تعالى من كلامه، أو أنه المبيِّن لألفاظ القرآن ومفهوماتها.

وجميع التعاريف تتفق على أن علم التفسير علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البَشرية، فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى، وبيان المراد.

وقد سلك العلماء منهجين أساسيين لتحصيل معاني القرآن هما:

أولاً: التفسير بالمأثور (النقلي)

ثانياً: التفسير بالرأي (العقلي)

مصادر التفسير (النقلي – العقلي):

مصادر التفسير هي:

١- القرآن الكريم

٢- السنة النبوية

(١) سورة الفرقان، الآية (٣٣)، انظر. الإتقان للسيوطي (٤/٤٥٩-٤٦١).

٣- أقوال الصحابة

٤- أقوال التابعين

٥- أقوال بني إسرائيل

٦- اللغة

٧- الاجتهاد

* * *

المبحث الأول

التفسير المأثور (النقلي)

تحرير مصطلح التفسير المأثور:

ذهب كثير من الأئمة إلى أن معناه: هو المنقول، والمروي من التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة، والتابعين، وأتباعهم(١).

أما ابن حجر فقد قال عن كتب التفسير بالمأثور بأنها: الناقلة للآثار المسندة، سواءً من المرفوع، أو الموقوف على الصحابة، أو المقطوع عن التابعين(٢).

ويؤيد هذا القول ما ذكره الشيخ محمد الصباغ: إن الرأي الصحيح أن ما جاء عن الصحابة، والتابعين العدول – فيما ليس من باب الاجتهاد والاستنباط، وإنما هو متوقف على السماع من النبي صلى الله عليه وسلم – يعتبر من التفسير بالمأثور، وهو مُلزم إن صحّ سنده، وأما المنقول عنهم مما يتصل بالاجتهاد والاستنباط، فليس من المأثور(٣).

---

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٤٣٩)، البرهان في علوم القرآن (١٧٢/٢).

(٢) مقدمة كتاب العجاب في بيان الأسباب، عن كتاب الدر المنثور (٦٩٩/٨).

(٣) لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير (ص ١٨٠).

يتبين لنا مما سبق أن التفسير المأثور هو: بيان معنى الآية بما ورد في السنة الشريفة المطهرة أو أقوال الصحابة رضي الله عنهم أو التابعين مما له حكم المرفوع كأسباب النزول والغيبيات وقصص الآية وأحوال الناس والإجماع.

مصادره:

أولاً: السنة

قال تعالى: ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يتفكرون**﴾(١).

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: "السنة تفسر القرآن وتبينه"(٢).

ومن أمثلة تفسير القرآن بالسنة تفسير المغضوب عليهم باليهود والضالين بالنصارى. وتفسير الخيط الأبيض والخيط الأسود بأنه بياض النهار وسواد الليل.

ثانياً: أقوال الصحابة

فالصحابة رضوان الله تعالى عليهم أعلم بمراد الله تعالى – بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم – من غيرهم فهم أهل اللسان العربي، و القرآن الكريم نزل بلغتهم، وكذلك شاهدوا التنزيل، والوقائع والأحداث، وعرفوا أحوال الناس المنزل عليهم القرآن الكريم، ولما لهم من سلامة المقصد و حسن الفهم المبني على علم خاصة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بين أظهرهم يسألونه عما أشكل عليهم.

ثالثاً: أقوال التابعين

التابعون رضي الله عنهم تلقوا العلوم على أيدي الصحابة رضوان الله عليهم، فقد كان لهم من سلامة المقصد والفهم ما للصحابة ولازالوا في عصر الاحتجاج اللغوي.

---

(١) سورة النحل، الآية (٤٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (١/٣٧).

ولو نظرنا في كتب التفاسير – على رأسها ابن جرير الطبري – لوجدناها تروي الآثار عن الصحابة والتابعين وأتباعهم.

يتبين لنا مما سبق أن التفسير بالمأثور هو:

ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من تفسيره للقرآن

ما روي عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم والتابعين:

١- مما لا مجال للرأي فيه – ما كان في حكم المرفوع – (أسباب النزول والغيبيات و قصص الآية وأحوال الناس)

٢- ما أجمع عليه الصحابة أو التابعون لأن إجماعهم حجة.

* * *

المبحث الثاني

التفسير بالرأي والاجتهاد (العقلي)

ينقسم التفسير العقلي إلى قسمين:

التفسير المحمود والتفسير المذموم

أولاً: التفسير المحمود: ما كان مبنياً على علم أو غلبة ظن.

ثانياً: التفسير المذموم: ما كان مبنياً على جهل أو هوى أو بدعة، وهو ما يعتمد المفسر في بيان المعنى على فهمه الخاص واستنباطه بالرأي المجرد، وتقرير أفكاره ومعتقداته، مع تأويل الآيات القرآنية بما يوافق مذهبه، دون الاعتماد على أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، وأقوال السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم ومن سار على نهجهم، وأكثر الذين تناولوا التفسير بهذه الطريقة كانوا من أهل البدع، الذين اعتقدوا مذاهب باطلة، وعمدوا إلى القرآن فتأولوه على رأيهم، وقد صنفوا تفاسير على أصول مذهبهم، كتفسير الجبائي، وعبد الجبار، والرماني، والزمخشري وأمثالهم.

كذلك الذين بنوا تفاسيرهم على اللغة فقط، دون النظر إلى ملابسات الآية من أسباب النزول وأحوال الناس وغيرها، منهم أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه (مجاز القرآن)، والفراء في كتابه (معاني القرآن).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وفي الجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً، بل مبتدعاً لأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم.

تعريف التفسير بالرأي المحمود:

التفسير بالرأي المحمود هو: ما كان مبنياً على العلم بالقرآن الكريم وعلومه ـ كالناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، والمطلق والمقيد وغيرها –، وأقوال النبي صلى الله عليه وسلم، واللغة العربية وأساليبها، وقواعد الشريعة وأصولها.

فتفسير الصحابة والتابعين وتفسير الذين اعتمدوا على أقوالهم بالأسانيد الصحيحة وتفسير أهل الرأي الموفق الذين جمعوا بين المأثور الصحيح وبين آرائهم العلمية المعتدلة كل هذه الثلاثة من التفسير المحمود، وعلى رأس هؤلاء محمد ابن جرير الطبري الذي جمع في تفسيره بين الروايات المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة والتابعين وأتباعهم وبين أقواله وترجيحاته المبنية على الأدلة.

فالاجتهاد في التفسير مبنياً على خمسة أمور:

الأول: القرآن الكريم وعلومه

الثاني: أقوال الرسول الله صلى الله عليه وسلم.

الثالث: أقوال السلف (الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وأتباعم).

الرابع: اللغة العربية مع الابتعاد عن تفسير الآيات وتنـزيلها على الشاذ والقليل النادر من استعمالات العرب.

الخامس: الرجوع إلى القواعد والأصول الشرعية.

ضوابط التفسير بالرأي المحمود:

أولاً: معرفة العلوم المتعلقة بالآية:

١- علم اللغة العربية من النحو البلاغة والبيان وغيرها

يعتبر علم اللغة من أهم العلوم التي يحتاجها المفسر لكلام الله تعالى لأنه لا توجد آية تنفك من مبحث لغوي، كما قال ابن عباس رضي الله عنه: التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى(١).

وروي عن مجاهد أنه قال: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الاخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب).

٢- علوم تلزم معرفتها لارتباطها ببعض الآيات دون بعض كالناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد والعام والخاص... وغير ذلك

مرّ عليّ بن أبي طالب برجل يقص على الناس، فقال له: أتعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال: لا، قال: أتعرف المحكم من المتشابه ؟ قال: لا، فأخذ عليّ بيده وقال: إن هذا يقول أعرفوني.

فإذا كان علياً قد أنكر على هذا القاص عدم معرفته بالناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه فمن باب أولى يكون الإنكار على من تصدر لتفسير كلام الله تبارك وتعالى وهو غير عالم بالعلوم التي تتعلق ببيان معاني الآيات.

٣- معرفة أسباب النزول و أحوال الناس وقصص الآية.

فإن معرفة سبب نزول الآية والقصة التي ترمي إليها يفيد في فهم معاني القرآن الكريم، وكشف الغموض التي يكون في بعض الآيات.

---

(١) تفسير الطبري (٣٧/١).

كما قال الواحدي: لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها[١].

وقال ابن دقيق العيد: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب[٣].

ثانياً: معرفة طبقات المفسرين

كما أنه يجب على المفسر معرفة طبقات المفسرين فمثلاً يجب على الصحابة معرفة التفسير النبوي، والتابعي يجب عليه معرفة التفسير النبوي وتفسير الصحابة، وهكذا، حتى لا يخرج عن أقوالهم فيفسر الآية بما يخالف أقوالهم، - لأن الخروج عن آرائهم من أهم أسباب بروز الرأي المذموم في التفسير- أو يجتهد في تفسير ما لم يرد عنهم. ولذلك من شروط المفسر أن لا يخرج تفسيره عن أقوال السلف من الصحابة والأئمة والتابعين وعلماء الأمة.

أسباب ظهوره:

لم يفسر النبي صلى الله عليه وسلم القرآن إلا آيات معدودة بل كان عليه الصلاة والسلام يكتفي ببيان موطن الهداية من الآية، وكذلك ما ورد عن بعض الصحابة فقد تورع الكثير منهم عن القول في التفسير خشية الخطأ، ومع حاجة الناس إلى معرفة معاني آيات القرآن ودلالاته خاصة بعد الفتوحات الإسلامية ودخول الأعاجم في الإسلام، واختلاط الثقافات، وانشغال الناس بالفقه ورواية الحديث، اصبحت الحاجة

---

(١) أسباب النزول (ص ١٢٩).
(٢) الإتقان للسيوطي (٨٧/١).
(٣) مجموع الفتاوى (٣٣٩/١٣).

ماسة لبيان معاني كلام الله تعالى ومراده وحتى يفهم كل من قرأ هذا الكتاب الجليل العظيم المعجز.

مصادره:

مصادر التفسير بالرأي المحمود هي:

١- القرآن الكريم

٢- السنة النبوية

٣- أقوال الصحابة

٤- أقوال التابعين

٥- اللغة

٦- الاجتهاد

٧- أقوال بني إسرائيل.

حكمه:

اجاز – معظم العلماء رحمهم الله تعالى – التفسير بالرأي المحمود المبني على علم، وهناك الكثير من الأدلة التي تدل على جواز هذا النوع من التفسير، منها على سبيل المثال:

١- قوله تبارك وتعالى: (**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً**)[١].

٢- قوله تبارك وتعالى: (**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**)[٢].

٣- قوله تبارك وتعالى: (**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا**

(١) سورة النساء، الاية (٨٢).

(٢) سورة محمد، الآية (٢٤).

الأَلْبَابِ)[١].

٤- دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنه: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)[٢].

وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار) فقد وجه الطبري هذا الحديث بقوله رحمه الله تعالى: أن القائل فيه بغير علم، قائل على الله ما لا علم له به، وإن وافق ما أراد الله به من معناه لأن إصابته لم تكن إصابة موقن أنه محق، وإنما هو إصابة خارص وظان[٣].

وقال ابن الأثير: وباطل أن يكون المراد به: أن لا يتكلم أحد في القرآن إلا بما سمعه، فإن الصحابة رضي الله عنهم، قد فسروا القرآن، واختلفوا في تفسيره على وجوه، وليس كل ما قالوه سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم، وإن النبي صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس، (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) فإن كان التأويل مسموعاً كالتنزيل فما وجه تخصيصه بذلك ؟.

* * *

(١) سورة ص، الاية (٢٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/٢٦٦).

(٣) تفسير الطبري (١/٥٨-٥٩).

المبحث الثالث

اجتهاد الصحابة في العهد النبوي

الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، كانوا متفاوتين في الدرجة العلمية، فلم يكونوا جميعاً فى مرتبة واحدة، السبب الذى من أجله اختلفوا فى فهم بعض معانى القرآن، وإن كان اختلافاً يسيراً بالنسبة لاختلاف التابعين ومَن يليهم.

يقول مسروق: لقد جالست أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فوجدهم كالإخاذ، فالإخاذ يروي الرجل، والإخاذ يروي الرجلين، والإخاذ يروي العشرة، والإخاذ يروي المائة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم[١].

وقد اجتهد الصحابة رضي الله تعالى عنهم في تفسير القرآن الكريم منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقد أقرهم في بعضها وصحح لهم البعض الآخر.

فمن أمثلة ما أقرهم عليه: فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال: لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم عام ذات السلاسل، قال: احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح، قال: فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذكروا ذلك له، فقال: "يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جنب" قال: قلت: نعم يا رسول الله، إني احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فذكرت قول الله تعالى: ﴿**وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً**﴾[٢] فتيممت ثم صليت، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئاً[٣].

(١) طبقات ابن سعد (٢/٣٤٣).
(٢) سورة النساء، الآية (٢٩).
(٣) تفسير ابن كثير (٢/٢٤٠).

ومن أمثلة ما صححه لهم عليه الصلاة والسلام وأرشدهم إلى الصواب: ما روي عن عدي بن حاتم أنه قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾[١] عمدت إلى عقالين، أحدهما أسود والآخر أبيض، قال: فجعلتهما تحت وسادي، وجعلت انظر إليهما، فلا يتبين لي السود من الأبيض ولا الأبيض من الأسود، فلما أصبحت غدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بالذي صنعت، فقال: (إن كان وسادك إذاً لعريض، إنما ذلك بياض النهار من سواد الليل)[٢].

ففي هذه الرواية وغيرها دليل على اجتهاد الصحابة رضي الله عنهم في تفسير معنى الآية، ومع ذلك لم ينههم عليه الصلاة والسلام عن ذلك بل بيّن لهم الصواب.

عن عبيد الله ابن عمر قال: أدركت فقهاء المدينة، وإنهم ليغلظون القول في التفسير، منهم: سالم بن عبد الله، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، ونافع.

كان سعيد ابن المسيب إذا سئل عن تفسير آية من القرآن، قال: أنا لا أقول في القرآن شيئاً.

كما أنه رحمه الله تعالى كان لا يتكلم إلا في المعلوم من القرآن.

وقد أولّ الطبري إحجام بعض الصحابة والتابعين عن القول في التفسير بقوله: إنما كان إحجامه عنه حِذاراً أن لا يبلغ أداء ما كلف من إصابة صواب القول فيه، لا على أن تأويل ذلك محجوب عن علماء الأمة...[٣].

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٨٧).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩١٦) انظر. تفسير ابن كثير (١/٤٥٢).
(٣) تفسير الطبري (١/٦٤).

مصادر الرأي في التفسير عند الصحابة:

١- القرآن الكريم

٢- اللغة

٣- الاجتهاد

المفسرون من الصحابة:

اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة، الخلفاء الراشدون الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير.

أَمَّا الْخُلَفَاءُ الراشدون فَأَكْثَرُ مَنْ رُوِيَ عَنْهُ مِنْهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

أبو بكر الصديق:

سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن آية فقال: "أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله مالا أعلم"[1].

في حين أنه - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لما سَأَلَه النَّاسَ عَنْ ميرَاثِ الْجَدَّةِ، أَخْبَرَهُ الْمُغيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَعْطَاهَا السُّدُسَ. وَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: ائْتِنِي بِمَنْ يَشْهَدُ مَعَك، فَشَهِدَ مَعَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، فَحَكَمَ لَهَا بِالسُّدُسِ، وإنما أفتى في ميراث الجدة لأنه أمير للمؤمنين كما أن المسألة يتوقف عليها حكم شرعي وهو توزيع الميراث.

علي بن أبي طالب:

وَأَمَّا عَلِيٌّ فَرُوِيَ عَنْهُ الْكَثِيرُ وَقَدْ رَوَى مَعْمَرٌ عَنْ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ: شَهِدْتُ عَلِيًّا يَخْطُبُ وَهُوَ يَقُولُ: "سلوني فوالله لا تسألوني عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ وَسَلُونِي عَنْ كِتَابِ اللَّهِ فَوَاللَّهِ مَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ أَبِلَيْلٍ نزلَتْ أَمْ بِنَهَارٍ أَمْ في

(١) تفسير الطبري (١/٥٨).

سَهْلٍ أَمْ فِي جَبَلٍ".

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا نَزَلَتْ آيَةٌ إِلَّا وَقَدْ عَلِمْتُ فِيمَ أُنزِلَتْ وَأَيْنَ أُنزِلَتْ إِنَّ رَبِّي وَهَبَ لِي قَلْبًا عَقُولًا ولسانا سؤلا.

عبد الله ابن مسعود:

قال ابن مسعود: (والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه)[١].

وقال علي بن أبي طالب عن ابن مسعود: عَلِم القرآن والسنة ثم انتهى[٢].

وعن مسروق قال: كان عبد الله يقرأ علينا السورة، ثم يحدّثنا فيها ويفسرها عامة النهار[٣].

وهذا الأثر يدل على أن شغله الدائم هو القرآن تلاوة وتعليماً وتفسيراً فابن مسعود قضى عمره بالاشتغال بالقرآن، فقد كان رضي الله عنه شديد الورع في التحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد نقل التابعون تفسير ابن مسعود وكان جلّ ما نقلوه عنه ما كان له صلة بالقراءات؛ لأنه رضي الله عنه اشتغل بالقراءة والإقراء وفاق غيره من الصحابة.

عبد الله بن عباس:

وأما ابن عباس فقد صحب النبي صلى الله عليه وسلم ويعدُّ من صغار الصحابة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم توفي وعمره ثلاث عشرة سنة. ومع ذلك فقد سبق

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب القرَّاء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (٥٠٠٢) ومسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما (٦٢٨٣).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي (٥٣٩٢).

(٣) (تفسير الطبري ١/٦٠).

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في علم التفسير حتى صار من أعلمهم فيه. وسبب ذلك دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بقوله: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)[1].

بل دعا له بالحكمة، فقال عليه السلام: (اللهم آته الحكمة) وفي رواية: (اللهم علمه الحكمة)[2].

وعن ابن مسعود أنه قال: "نعم ترجمان القرآن ابن عباس"[3].

وكان عمر بن الخطاب يصفه بقوله: ذاكم فتى الكهول، إن له لساناً سؤلاً وقلباً عقولاً[4].

وَعَنْ مُجَاهِد قَالَ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُسَمَّى الْبَحْرَ لِكَثْرَةِ عِلْمِهِ.

وعَنِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ حَبْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ.

وسئل ابن عمر عن تفسير قوله تعالى: (**أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا**)[5] فقال: اذهب إلى ذلك الشيخ فاسأله، ثم تعال فأخبرني ما قاله، فذهب إلى ابن عباس فسأله، فقال ابن عباس: كانت السموات رتقاً لا تمطر، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت، ففتق هذه بالمطر، وفتق هذه بالنبات، فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره، فقال: إن ابن عباس أوتي علماً، صدق هكذا كانتا، ثم قال ابن عمر: قد كنت أقول: ما يعجبني جرأة ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن قد علمت أنه قد أوتي علماً[6].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/٢٦٦).
(٢) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (٢/٨٤٦).
(٣) تفسير الطبري (١/٦٥)
(٤) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (٢/٨٤٤).
(٥) سورة الأنبياء، الآية (٣٠).
(٦) حلية الأولياء لأبي نعيم (١/٣٢٠).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لِمَ يُدخل هذا الفتى معنا، ولنا أبناء مثله ؟ فقال: إنه مَن قد علمتم، فدعاهم ذات يوم، ودعاني معهم، - قال: وما أريته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني – فقال: ما تقولون في: (**إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً**)[١] حتى ختم السورة ؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله، ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئاً، فقال لي: يا ابن عباس، أكذلك تقول ؟ قلت: لا، قال: فماذا تقول ؟ قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله له، (**إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**) فتح مكة فذاك علامة أجَلَك، (**فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً**) قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم[٢].

ومن أوعب ما رُوى عنه رضي الله عنه ما ذكره السيوطي من أنه جاء رجل إلى ابن عباس، فقال: رأيت أشياء تختلف علي من القرآن، فقال ابن عباس: ما هو ؟ أشك! قال: ليس بشك ولكنه اختلاف، قال: هات ما اختلف عليك من ذلك، قال: أسمع الله يقول: (**ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ**)[٣] وقال: (**وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثاً**)[٤] فقد كتموا، وأسمعه يقول: (**فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ**)[٥]، ثم قال: (**وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ**)[٦]، وقال: (**أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ**

---

(١) سورة النصر .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي، باب منزل النبي يوم الفتح، ينظر. الفتح (٧٣٤/٨)، ٤٩٧٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية (٢٣).

(٤) سورة النساء، الآية (٤٢).

(٥) سورة المؤمنون، الآية (١٠١).

(٦) سورة الطور، الآية (٢٥).

الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ حتى بلغ **﴿طَائِعِينَ﴾**[1] ثم قال في الآية الأخرى: **﴿أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا﴾**[2] ثم قال: **﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾**[3]، وأسمعه يقول: **﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾** وما شأنه يقول: **﴿وَكَانَ اللّهُ﴾**.

فقال ابن عباس رضي الله عنهما: أما قوله: **﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾** فإنهم لما رأوا يوم القيامة، وأن الله يغفر الذنوب ولا يغفر شركاً، ولا يتعاظمه ذنب أن يغفره، جحد المشركون رجاء أن يغفر لهم، فقالوا: **﴿وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾** فختم الله على أفواههم، فتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك **﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثاً﴾**.

وأما قوله: **﴿خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾** فإن الأرض خلقت قبل السماء، وكانت السماء دخاناً فسواهن سبع سموات في يومين بعد خلق الأرض.

وأما قوله: **﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾** يقول: جعل فيها جبلاً، وجعل فيها نهراً، وجعل فيها شجراً وجعل فيها بحوراً.

وأما قوله: **﴿كَانَ اللّهُ﴾** فإن الله كان ولم يزل كذلك، وهو كذلك عزيز حكيم عليم قدير، لم يزل كذلك.

فما اختلف عليك من القرآن فهو يشبه ما ذكرت لك، وإن الله لم ينزل شيئاً إلا وقد أصاب الذي أراد ولكن أكثر الناس لا يعلمون[4].

إلى آخر المسائل وأجوبتها، وهى تدل على قوة ابن عباس فى معرفته بلغة العرب،

---

(١) سورة فصلت، الآية (٩- ١١).

(٢) سورة النازعات، الآية (٢٧) .

(٣) سورة النازعات، الآية (٣٠).

(٤) الإتقان (٢/٧٠-٧١).

وإلمامه بغريبها، إلى حد لم يصل إليه غيره، مما جعله إمام التفسير فى عهد الصحابة، ومرجع المفسِّرين بعد ذلك، حتى لقد قيل فى شأنه: "إنه هو الذى أبدع الطريقة اللغوية لتفسير القرآن".

وقال رضي الله عنه: "الشعر ديوان العرب، فإذا خفى علينا الحرف من القرآن الذى أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا ذلك منه".

وروى ابن الأنبارى عنه أيضاً أنه قال: "إذا سألتمونى عن غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر، فإن الشعر ديوان العرب".

وقد ورد عن ابن عباس في التفسير ما لا يحصى عدده وفيه روايات وطرق مختلفة ولكن معظمها لا تصح عنه رضي الله عنه. فقد روي عن الشافعي أنه قال: لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث[١].

تفسير القرآن بالقرآن هل يدخل تحت التفسير بالرأي:

يعتبر تفسير القرآن بالقرآن أفضل طرق التفسير، وهو أبلغ التفاسير لأن كل قائل أعلم بقوله وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم القرآن بالقرآن، كذلك فسر الصحابة والتابعون القرآن بآيات من القرآن كما اعتمد على هذا المصدر بعض المفسرين على رأسهم الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره، والشيخ الشنقيطي في كتابه (أضواء البيان)، وغيرهم.

وهذا المصدر مبني على اجتهاد المفسر وقد يكون صحيحاً وقد لا يكون صحيحاً، وقد يقبل وقد لا يقبل، فلو كان المفسر للآية هو النبي صلى الله عليه وسلم فإنه يندرج تحت التفسير النبوي، وإن كان المفسر للآية صحابي فيكون من تفسير الصحابة ولو كان تابعي يكون من تفسير التابعين وهكذا.

---

(١) وقد بلغ المروي عنه في تفسير الطبري (٥٨٠٩) رواية كما ذكرها محمد الخضيري في كتابه (تفسير التابعين) (٣٧٥/١).

حكم تفسير الصحابي:

المسألة فيها تفصيل:

أولاً: ما كان له حكم المرفوع، لأنه لا مجال للرأي وإعمال العقل فيها، بل لا بد من النقل فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويشمل:

١- أسباب النزول:

مثاله ما رواه جابر رضي الله عنه قال: كانت اليهود تقول: إذا جامعها من وراءها جاء الولد أحول، فنزلت: **(نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ)**[1] قال الحاكم بعد أن ساق الحديث: هذا الحديث وأشباهه مسندة عن آخرها، وليست بموقوفة، فإن الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل، فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا وكذا، فإنه حديث مسند.

٢- الغيبيات:

مثاله: ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره[2].

٣- قصص الآيات وأحوال الناس الذي نزل فيهم القرآن، فإنها من المنقول الذي لا سبيل للاجتهاد والرأي فيه.

مثاله: قصة إبراهيم عليه السلام مع النمروذ بن كنعان في قوله تعالى: **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ)**[3].

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢٢٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٦١٤/١).

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٥٨) وانظر تفسير ابن كثير (٦١٩/١-٦٢١).

ثانياً: ماله حكم الإسرائيليات

فإنه ينظر في الروايات:

فما كان موافقاً لما في القرآن الكريم والسنة المطهرة، فحكمه القبول.

وإن كان مخالفاً للقرآن والسنة فحكمه الرد والرفض ولا تجوز روايته إلا لبيان زيفه وبطلانه.

وإن لم يرد في القرآن ولا في السنة ما يؤيده أو يخالفه فحكمه التوقف فيه.

ثالثاً: الاجتهاد

١- إذا أجمع الصحابة على قول واحد في تفسر آية، فيكون قولهم حجة يجب قبوله.

٢- وإذا وقع بينهم خلاف في تفسير آية فلا يكون قول أحدهم حجة على الآخر بل لابد من العمل بالمرجحات والأخذ بدليل صالح للترجيح.

* * *

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم المبعوث رحمة للعالمين

فقد منَّ الله عليّ بأن كتبت هذا البحث في حجية تفسير الصحابي في التفسير وتبين لنا أن تفسيرهم حجة.

اسأل الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعواتي أن الحمد لله رب العالمين

* * *

المصادر والمراجع

١- الإسرائيليات في التفسير والحديث د. محمد حسين الذهبي، ط: الثالثة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، دار التوفيق النموذجية القاهرة - مصر.

٢- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للشيخ محمد بن محمد أبو شهبة ط: الرابعة ١٤٠٨هـ، مكتبة السنة، القاهرة - الجمهورية المصرية.

٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين بن محمد مختار الجكني الشنقيطي، خرج آياته وأحاديثه: الشيخ محمد عبد العزيز الخالدي، ط: الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٤- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ط: الثالثة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

٥- تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، وشارك في التحقيق: الدكتور زكريا عبد المجيد النوتي والدكتور أحمد النجولي الجمل، قرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، ط: الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، بيروت - لبنان.

٦- تفسير التابعين عرض ودراسة مقارنة د. محمد بن عبد الله بن علي الخضيري، ط الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، دار الوطن، المملكة العربية السعودية - الرياض.

٧- تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ط: الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٨- تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير، تحقيق: عبد

الرزاق المهدي، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، دار المتاب العربي، بيروت- لبنان.

٩- تفسير القرآن الكريم للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ط: الأولى ١٤٢٣هـ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الدمام.

١٠- التفسير والمفسرون د. محمد حسين الذهبي ط: بدون.

١١- الجامع لأحكام القرآن للإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط: بدون ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٢- الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: بدون ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان.

١٣- الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: حامد البسيوني، ط: الثانية ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، دار الفجر للتراث، القاهرة.

١٤- أسباب نزول القرآن للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق ودراسة كمال بسيوني زغلول، ط: بدون، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٥- البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: بدون، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان.

١٦- مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، راجعه وضبطه وعلق عليه: محمد علي قطب، يوسف الشيخ محمد، ط: الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان.

١٧- صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة، ط: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٨- صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي المسمى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، حقق أصوله وخرج أحاديثه على الكتب الستة ورقمه حسب المعجم المفهرس وتحفة الأشراف: الشيخ خليل مأمون شيحا، ط: الثالثة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، دار المعرفة بيروت - لبنان.

١٩- العجاب في بيان الأسباب للإمام أبي الفضل أحمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس ط: الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية - الدمام.

٢٠- المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري مع تضمينات الإمام الذهبي في التلخيص والميزان والعراقي في أماليه والمناوى في فيض القدير وغيرهم من العلماء الأجلاء، تحقيق ك حمدي الدمرداش محمد، ط: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية - مكة المكرمة.

٢١- مسند الإمام أحمد بن حنبل، رقم أحاديثه: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط: الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٢٢- مجموعة الفتاوى لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني، اعتنى بها وخرج أحاديثها: عامر الجزار وأنور الباز، ط: الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، دار الوفاء، المملكة العربية السعودية - الرياض.

٢٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للإمام الحافظ أبي نُعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني الشافعي، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط: الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٢٤- مقدمة ابن خلدون للعلامة عبد الرحمن بن خلدون، ط: الأولى ١٤٢٣هـ -

١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٢٥- سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، ط: الحادية عشرة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

٢٦- طبقات المفسرين للإمام الحافظ الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط: بدون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٢٧- طبقات المفسرين، تأليف: أحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الحربي، ط: الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، مكتبة العلوم والحكم، المملكة العربية السعودية- المدينة المنورة.

٢٨- فصول في اصول التفسير لمساعد الطيار، ط. الثالثة، دار ابن الجوزي ١٤٢٠هـ. المملكة العربية السعودية – الدمام.

٢٩- الطبقات الكبرى لابن سعد، طبعة دار صادر، بيروت.

٣٠- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، المطبعة السلفية.

* * *